الصين

(عَودٌ على ما سبق)

اما تاريخ هذه البلاد فاوائلهُ غامضة على حد تواريخ سائر الامم القديمة والمؤرخون مختلفون في اصل الصينيين فمنهم من ذهب الى ان اصلهم من مصر وان ملوكهم الاولين لم يكونوا الا من ملوك ثيبة وممفيس واستدلّوا على ذلك بما يُرَى من الشبه بين الهيرُغليف المصريـــ والحروف الصينية ومنهم من ذهب الى انهم من ابنآء سام بن نوح ارتحلوا من صحارى شنعار بعد تبلبل الالسنة فنزلوا بارض هونان وهي ناحيةٌ باواسط الصين وهو قول بعض المرسلين وهناك اقوال اخر لا فائدة من استقصآئها على انهُ مهما يكن من اصلهم فلا شك انهم من اقدم الامم في بلادهم كما تدل على ذلك تواريخهم وشرائعهم وآدابهم مما انفردوا فيهِ عن سائر الامم بالاجمال

وللصينيين تقاليد يتناقلونها بينهم تتسلسل وقائعها منذ ثمانين الف سنة او فوقها وتنتهي الى الانسان الاول واسمهُ عندهم پان كو ولهم في هذه التقاليد احاديث وخرافات غريبة ليس هنا محل ايرادها ولعلنا نأتي على بعضها عند الكلام على مذاهبهم الدينية . واما تاريخهم فاقدم من ذُكر فيهِ الملك فوهي وكان عهدهُ في القرن الثلاثين وقبل التاسع والعشرين قبل الميلاد وهو الذي فرق بين زيّ الرجل وزيّ المرأة واوجب على رعيتهِ سُنّة الزواج واستنبط فن الموسيقى وعلّم قومهُ صناعة الحديد واخترع الحروف الرمزية التي هي اصل الكتابة عند الصينيين

وخلفهُ على الملك شين تُنغ ومعناهُ الحارث السماوي وهو الذي علّم الصينيين فن الزراعة واخترع لهم بعض آلات الحرث وهو اول من نبه على بعض العقاقير الدوائية . وملك بعدهُ سوان يوان وهو الذي اخترع جميع الصنائع والفنون وميز الرعية طبقاتٍ عيّن لكل طبقةٍ منها لوناً تلبسهُ وخصّ اللون الاصفر بعشيرة المُلك ولذلك لُقّب بهوَنْغ تي اي الملك الاصفر . وهو الذي قسم الزمن الى ادوار جعل الدور منها ستين سنةً على ما هو اصطلاح الصينيين الى هذا اليوم وهو في مقابلة القرن عند غيرهم وجعل ابتداء الدور الاول السنة التي ملك فيها وهي سنة ٢٦٣٧ قبل الميلاد وبها يؤرّخ الصينيون وقائعهم

وتولى الملك بعدهُ شاو هاو ولم يكن لهُ عملٌ يُذكَر ثم شوان هيو ومن آثارهِ انشاء الندوة العلمية ثم تي كو وهو اول من ضارّ على امرأتهِ فصار ذلك سنّةً في قومهِ ثم تي تشي وكان سيّئ الاحكام فثار عليهِ رجالهُ وخلعوهُ وملّكوا مكانهُ اخاهُ ياو وبهِ بدأت اشهر حوادث التاريخ عندهم . ولما توفي ياو خلفهُ صهرهُ شون وكان في جملة بطانتهِ رجلٌ حكيم يقال لهُ يو فشاطرهُ الملك في حياتهِ ولما توفي شون استقلّ يو بالملك الا انهُ وجد من ثقل اعباء السياسة ما دعاهُ الى الاقتداء بسالفهِ ففوّض جانباً من المملكة الى رجلٍ من ثقاتهِ يقال لهُ پاي فكان الامر مشتركاً بينهما الى ان توفي يو فلم يستبدّ پاي بالملك من بعدهِ ولكنهُ نزل عنهُ لابن يو وكان يسمى تي كي ومذ ذاك صار الملك ينتقل في الاعقاب ولم يزل سنّةً في ملوك الصين الى هذا اليوم . وسميت تلك السلالة بالحياوية وهي السلالة الاولى من

ملوكهم واولها يو المذكور وكان ابتداء ملكهِ سنة ٢٢٠٥ قبل الميلاد واستمرّت سلالتهُ الى سنة ١٧٨٣ . وقامت بعدها السلالة الثانية المعروفة بالشنغيين ورأسها تشنغ تهَنغ ولبثت الى سنة ١١٢٢ ثم خلفتها السلالة الثالثة وهي سلالة التشاوبين ومن ملوكها تشنُغ وَنغ وهو اول من امر برسم خرائط للصين وفي ايامهِ ضُربت السكة وبدأ الناس يتعاملون بها ودامت هذه السلالة الى سنة ٢٥٥ قبل الميلاد . وفي مدتها كان مولد لوشيوس وكنفوشيوس وهما من اشهر فلاسفة آسيا الشرقية وُلد الاول سنة ٦٠٤ والثاني سنة ٥٥٠ وكلاهما صاحب مذهبٍ من مذاهب الدين عندهم على ما سنذكرهُ

وقامت بعدها السلالة الرابعة وهي سلالة التسينيين فاستمرّت الى سنة ٢٠٢ ورأس هذه السلالة شي هوَنغ تي وهو الذي بنى السور العظيم المشهور سنة ٢١٤ فصل بهِ بين ارض الصين وارض المغول او بلاد ياجوج وماجوج وهو يحيط بشمالي الصين وغربيها مبتدئاً من شرقيّ باكين على شاطئ البحر حتى ينتهي الى كان سو غرباً وطولهُ ٢٥٠٠ كيلو متر . وهو يقطع انهراً واودية عميقة ويمرّ على جبالٍ شامخة وارتفاعهُ نحو ٣٠ قدماً وعرضهُ ٢٥ قدماً عند اصلهِ و ١٥ قدماً و ٦ قراريط عند اعلاهُ وهو مبنيٌّ من جدارين ضخمين من الآجرّ بينهما تراب وعليهِ ابراج يختلف سمكها بين ٤٠ و ٥٠ قدماً وبين كل برجٍ وآخر نحو ٢٥٠ قدماً . قيل وكان الذين استُخدموا في بنآئهِ عدة ملايين من الناس بنوهُ في مدة عشر سنين وكان المسيطرون عليهم مئة الف من الجند

وتتابعت الدول بعد ذلك على الصين الى السلالة الحالية وهي الثانية

والعشرون وتُعرَف بسلالة التسنْغيين ورأسها شون تسي واصل هذه السلالة من منشوريا وكان السبب في استيلائها على الصين ان اثنين من قوّاد هواي تسنْغ آخر ملوك السلالة الحادية والعشرين توثبا على المُلك في خبرٍ طويل الى ان انتزعهُ احدهما واستقرّ لهُ الامر فاستظهر الصينيون عليهِ بالمنشوريين فانجدوهم تحت قيادة ملكهم تسنغ تي وخلعوهُ ثم استبدّ المنشوريون بالملك واستخلف عليهِ تسنغ تي ابنهُ شون تسي المذكور فكان اول ملوك السلالة المنشورية وذلك سنة ١٦٤٤ . والذين ملكوا من هذه السلالة الى اليوم تسعة ملوك آخرهم كوَنْغ سو سُمّي امبراطوراً سنة ١٨٧٥ ثم لم يلبث طويلاً حتى حُجر عليهِ وهو الى اليوم تحت الحجر على ما هو مشهورٌ من امرهِ[1]

(١) لا بأس ان نفيض هنا بعض الشيء في الاسباب التي ادّت الى سجن الامبراطور وما يتصل بذلك من مقدمات الحوادث الحالية في الصين التي هي سبب كتابة هذا الفصل . وذلك انهُ في سنة ١٨٤٨ امر الامبراطور هيان فنغ وهو السابع من السلالة الحالية ان تجمع لهُ عشر فتيات من المنشوريات بين سن ١٥ و ١٨ سنة ليختار منهنّ حظيةً لنفسهِ . واتفق قبل ذلك ان كان لاحد اشراف منشوريا ابنةٌ يقال لها تسي آن فاحوجهُ ضيق ذات اليد ان باعها وبيع الولد جائزٌ عندهم فابتاعها احد اغنياء التجار ولبثت تخدم في منزله عدة سنين . وكانت الفتاة قوية البنية صحيحة الجسم مستجمعة للمعاني المستحبة عند الصينيين فلما شاع امر الامبراطور سألت مولاها ان يجعلها في اللواتي يعرَضنَ عليهِ ففعل ولما مثلت الفتيات العشر بين يدي الامبراطور وقع اختيارهُ عليها فارسلت الى قصرهِ . ولما استقرّ بها المقام اخذت تحبب الى الامبراطورة وتتقرب اليها بدهائها حتى اذنت لها في ملازمتها فكان ذلك سبباً في اجتماعها بالامبراطور مراراً فشغف بها وفي اثناء ذلك رُزق منها غلاماً ولم يكن لهُ ولدٌ من الامبراطورة فزادها ذلك حظوةً في عينيهِ وقرباً من قلبه حتى اطلق عليها لقب امبراطورة الغرب

وهو في مقابلة امبراطورة الشرق الذي هو لقب الامبراطورة الشرعية وهذا اللقب يعطى عادةً للحظايا الا ان مقام الامبراطورتين واحد

ولما كانت سنة ١٨٦٠ توفي الامبراطور وقيل انهُ مات مسموماً فخلفهُ في الملك ابن تسي آن وسمي تنغ تشي وكانت الاحكام في يد الامبراطورتين والامير كنغ عم الولد . وفي سنة ١٨٧٤ كان الامبراطور قد بلغ التاسعة عشرة من سنيهِ فحاول ان يستبدّ بالامر وابرز صفحة المقاومة لوالدته والامبراطورة وعمهِ فاضطربت بسبب ذلك احوال البلاط وفي آخر السنة اعتلّ الامبراطور وتوفي في اوائل سنة ١٨٧٥ وانقطعت من بعدهِ سلالة الملك فرجع حق الارث الى اشراف منشوريا ووقع اختيار تسي آن على ولد من امرآتهم في الرابعة من سنيهِ فعين امبراطوراً وسمي كنغ سو وهو الامبراطور الحالي ولبثت ازمة الاحكام في ايدي الثلاثة الذين ذكروا

وفي سنة ١٨٨١ توفيت الامبراطورة فخلا الجوّ لتسي آن واستبدت بالاحكام بلا معارض وكان الامبراطور لين العريكة سهل القياد فاستولت على رأيهِ وجعلتهُ آلةً في يدها الى ان احست منذ بضع سنوات انهُ ينوي الاستقلال بالملك فسجنتهُ في قصرهِ وفرقت احزابهُ ومناصريهِ من اهل البلاط فقتلت بعضاً ونفت بعضاً وهو في اسرها الى هذا اليوم لا يخرج من محبسهِ ولا يصل اليهِ احد

بقي الكلام في الفتنة الحالية وثورة الصينيين على الاجانب وسببها ان الامبراطورة لما رأت امتداد ظل الاجانب في الصين عمدت الى موالاتهم للاستظهار بهم على تأييد سيادتها فقرّبت سفرآء الدول وعززت موضعهم وكانت تأمر الامبراطور ان يستقبلهم بنفسهِ في بلاط باكين ولم يكن ذلك مألوفاً في الصين من قبل فاهتزّت اركان مملكة ابن السمآء لما في ذلك من الخرق لحرمة التقليد القديم ثم اذنت لنسآء السفرآء ان يزرنها في البلاط واستقبلتهنّ استقبالاً حافلاً فزاد ذلك في نفورهم منها وحنقهم عليها حتى خافت على موضعها ولم يبقَ لها ثقةٌ باحدٍ من اهل المملكة لان المنشوريين ناقمون عليها يودّون نزع الامر من يدها وردّهُ الى الامبراطور والصينيين الا افراداً منهم يمقتون السلالة المنشورية ويودّون التخلص منها ليعود الامر اليهم ثم رأت جماعة المسمين بالبكسر وهم اصحاب الجمعية السرية التي اشتهر ذكرها في هذه الايام ناقمين على الاجانب فشدّت سواعدهم على الفتك بهم ليكونوا من جانبها وكان منهم ما كان من الفظائع التي تحملها الينا برُد الاخبار والله اعلم ما تكون عاقبة هذه الامور

والبكسر كلمة انكليزية معناها اصحاب الجمع (بالضمّ) وهو الكف المقبوضة وهي ترجمة « آي هو تشوان » بالصينية ومعناها ذوو الجمع المتحدون وفي الصين مئاتٌ من الجمعيات السرية هذه احدثها عهداً الا انها اكثرها انتشاراً حتى ان اعضاءها فيما يقال يعدون بالملايين

الحُبسة وعلاجها

الحُبسة احتباس المنطق وهي والحُكلة والعُقلة والرُتّة والتأتأة والفأفأة والتمتمة والتعتعة الفاظٌ مترادفة لكن تُخَصّ التأتأة بمن يتردد في التآء والفأفأة بمن يتردد في الفآء وقيل هي ان يعسر خروج الكلام والتمتمة ردّ الكلام الى التآء والميم وقيل هي ان تسبق الكلمة الى الحنك الاعلى والبواقي تستعمل في مطلق التوقف واعتقال اللسان

وقد سألنا غير واحد من القرآء كتابة ما يسعنا في هذا المقام والاشارة بافضل ما عُوِنيَ بهِ علاج هذه العاهة وقد عثرنا في ذلك على فصلٍ لاحد اطبآء الفرنسيس فآثرنا تحصيلهُ لعلّ فيهِ تبصرةً او نفعاً قال

الحُبسة كما يعلم عيبٌ في المنطق لا يطّرد على وجهٍ واحد وهي تكون اما بتكرار الحرف الواحد او بتوقف اللسان عند احد الحروف ولا سيما في اول النطق ويصحبها في الحالين حركاتٌ تشنجية في اعضآء النطق وفي عضل الوجه او غيرهِ من الاعضآء وقد يصحبها فيضٌ في اللعاب . وسببها على الغالب ضعف البدن لسوء التغذية او الفزع الفجآئي في زمن الطفولة او الارث

وقد اكثروا من الكلام على تقسيم هذه العاهة وانواعها بما يطول